انسيس فوكوياما وكتابه
نهاية التاريخ والانسان الاخير

حياة فوكوياما :

يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٩٥٢ م. يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد. من كتبه كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) ، ويعتبر من أحد الفلاسفة والمفكرين الأميركيين المعاصرين، فضلا عن كونه أستاذا للاقتصاد السياسي الدولي ومديرا لبرنامج التنمية الدولية بجامعة جونز هوبكنز.
تخرج فوكوياما من قسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة كورنيل، حيث درس الفلسفة السياسية ، بينما حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد حيث تخصص في العلوم السياسية.
عمل بوظائف عديدة أكسبته الكثير من الخبرة والثقافة، فقد عمل مستشارا في وزارة الخارجية الأمريكية كما عمل بالتدريس الجامعي.في عام ١٩٨٩، كان قراء دورية ناشونال انترست (National Interest) على موعد مع مقالة حفرت حروفها في تاريخ النظريات السياسية الحديثة، عندما كتب فرانسيس فوكوياما تحت عنوان " نهاية التاريخ" قائلا إن نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى وانتهى إلى دون رجعة مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين، لتحل محله الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية، وقد أضاف وشرح فوكوياما نظريته المثيرة للجدل في كتاب أصدره عام ١٩٩٢ بعنوان (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)
طرأت تحولات على مواقف وقناعات فوكوياما في نهاية عام ٢٠٠٣، حين تراجع عن دعمه لغزو العراق، ودعا إلى استقالة وزير الدفاع الأمريكي في ذلك الوقت دونالد رامسفيلد. وأعلن عن احتمال تصويته ضد الرئيس بوش في انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٤، معتبرا أن الرئيس الأميركي قد ارتكب أخطاء رئيسية ثلاثة، هي: أولا، المبالغة في تصوير خطر التشدد الإسلامي على الولايات المتحدة. ثانيا، إساءة تقدير إدارة بوش لردود الفعل السلبية وازدياد مشاعر العداء للولايات المتحدة في العالم. ثالثا، التفاؤل الزائد في إمكانية إحضار السلم إلى العراق من خلال الترويج لقيم الثقافة الغربية في العراق والشرق الأوسط بصورة عامة.

نهاية التاريخ والانسان الاخير

يقول فوكوياما في بداية كتابه إن ما نشهده الآن ليس نهاية للحرب الباردة أو مرور فترة معينة لمرحلة ما بعد الحرب ، وإنما نهاية للتاريخ ، بوضع حد للافكار الايدلوجية في التاريخ الإنساني وانتشار قيم الليبرالية الديمقراطية الغربية.ان فوكوياما ليس مبتدع لمقالة نهاية التاريخ فان هذه المقولة لها جذور في الفكر السياسي سبقه اليها هيجل عندما كتب في عام ١٨٠٦ بان التاريخ انتهى بالثورة الفرنسية ، اذ لا يوجد حدث جوهري سياسي قادر على تخطي الثورة الفرنسية ومبادئها ، وان هذه المبادئ اسست لكل الاحداث السياسية اللاحقة المختلفة عنها ولم تستطع أن تتجاوزها. لقد كانت مجرد انحراف عنها". إنه لا يريد القول بأن التاريخ ليس ممكن و لكن مفهوم التاريخ و تفسيره وصل إلى نهايته. كما سبقه كارل ماركس بنهاية التاريخ وفقا لنظرية ماركس الشهيرة "المادية التاريخية"، والتي اعتبر فيها أن نهاية تاريخ الاضطهاد الإنساني سينتهي عندما تزول الفروق بين الطبقات.
ان نهاية التاريخ لا تعني–عند فوكوياما - ان تنتهي الدورة الطبيعية من الولادة والحياة والموت وان الاحداث الهامة سيتوقف وقوعها وان الصحف التي تنشر الاخبار ستحتجب عن الصدور .. وانما يعني هذا انه لن يكون ثمة مجال لمزيد من التقدم في مجال المبادىء والانظمة الاساسية وذك لان كافة المسائل الكبيرة حقاً ستكون قد حلت .

تقوم نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما والتي اختلفت الأراء حولها بين مؤيد ومعارض، على ثلاثة عناصر أساسية.
العنصر الأول: هو أن الديمقراطية المعاصرة قد بدأت في النمو منذ بداية القرن التاسع عشر، وانتشرت بالتدرج كبديل حضاري في محتلف أنحاء العالم للأنظمة الديكتاتورية.
العنصر الثاني: هو أن فكرة الصراع التاريخي المتكرر بين " السادة" و"العبيد" لا يمكن أن يجد له نهاية واقعية سوى في الديمقراطيات الغربية واقتصاد السوق الحر.
العنصر الثالث : هو أن الاشتركية الراديكالية أو الشيوعية لا يمكنها لأسباب عدة أن تتنافس مع الديمقراطية الحديثة، وبالتالي فإن المستقبل سيكون للرأسمالية أو الاشتركية الديمقراطية.
وطبقا لنظرية فوكوياما، فإن الديمقراطية قد أثبتت في تجارب متكررة منذ الثورة الفرنسية وحتى وقتنا هذا أنها أفضل النظم التي عرفها الإنسان أخلاقيا وسياسيا واقتصاديا. ولا يعني فوكوياما أن نهاية أحداث الظلم والاضهاد في التاريخ قد انتهت، وإنما التاريخ هو الذي أنتهى، حتى وإن عادت نظم استبدادية للحكم في مكان ما، فإن الديمقراطية كنظام وفلسفة ستقوى أكثر مما قبل.، اذ يرى فوكوياما أن العالم سيشهد المزيد والمزيد من الحكومات الديمقراطية بمختلف أشكالها .
ومن اهم ما جاء في كتاب (نهاية التاريخ) وفي معرض تمجيده للديمقراطية الليبرالية يمكن تاشير الاتي :-

١- ان الديمقراطية الليبرالية بمؤسساتها الاقتصادية والسياسية بدأت تزحف على بقية اجزاء العالم ، ويدل على ذلك وتؤكده الانتصارات المتتالية التي حققتها الايديولوجية الديمقراطية الليبرالية على الايديولوجيات الاخرى كالملكيات المطلقة والفاشية واخيرا الشيوعية ، وان انتصارها يشكل المرحلة النهائية في التطور العقائدي للجنس البشري مما يجعلها تمثل (نهاية التاريخ) .

٢- ان الليبرالية السياسية هي قاعدة قانونية تعترف بحريات وحقوق معينة للافراد غير خاضعة لسيطرة الحكومة مثل الحقوق المدنية وهي تعني تحرير شخص المواطن وممتلكاته من سيطرة الحكومة والحقوق الدينية وهي تعني السماح بحرية التعبير عن الآراء الدينية وممارسة العبادة والحقوق السياسية وهي تعني تحرير المواطن من سيطرة الحكومة في الامور التي لا يبدو بوضوح انها تؤثر في صالح المجتمع كله تأثيراً يحتم تدخل الدولة .. وتتضمن هذه الاخيرة حرية الصحافة باعتبارها حقاً اساسياً .

٣- ان المحور الرئيسي للتاريخ هو نمو الحرية .. فليس التاريخ سلسلة عمياء من الاحداث .. وانما هو كلٌ ذو مغزى نمت فيه افكار البشرية حول طبيعة النظام السياسي والاجتماعي العادي ومضى بها الى غايتها .. وان كنا اليوم قد بلغنا مرحلة لا نستطيع معها ان نتخيل عالماً شديد الاختلاف عن عالمنا .. او طريقة ظاهرة وواضحة يصبح المستقبل بها أفضل بكثير مما نحن فيه .. فعلينا أيضاً ان نأخذ بعين الاعتبار احتمال ان يكون التاريخ قد بلغ نهايته .

٤- لا يمكن للديموقراطية الليبرالية المستقرة ان تظهر الى حيز الوجود دون ساسة حكماء أكفاء يفهمون فن السياسة ويستطيعون تحويل الميول الكامنة لدى الشعوب الى مؤسسات سياسية صامدة.

٥- ان اهم التحديات التي تواجه اليوم النزعة الليبرالية العالمية الناجمة عن الثورتين الامريكية والفرنسية ليس مصدرها العالم الشيوعي الذي وضح للأعين فشله الاقتصادي .. وانما مصدرها تلك المجتمعات في آسيا التي تجمع بين الاقتصادات الليبرالية ونوع من الاستبداد الابوي.

٦- ان الديموقراطية الغربية مبنية على اساس تنافس آراء شخصية مختلفة حول الحق والباطل .. والتي تعبر عنها صفحات المقالات الافتتاحية في الصحف .. ثم الانتخابات على مختلف المستويات .. وحيث تتعاقب الاحزاب السياسية الممثلة للمصالح او وجهات النظر الشخصية المختلفة في تولي ادارة شؤون الدولة .. وينظر الى هذا التنافس باعتباره شرطا طبيعيا ولازما للأداء العادي للديموقراطية .. اما في الشرق فان المجتمع ككل يميل الى اعتبار نفسه جماعة واحدة كبيرة لها مصدر واحد مستقل للسلطة .. وتاكيد اهمية الانسجام في الجماعة يميل الى ابعاد المواجهة الصريحة الى هامش السياسة .. وليس ثمة تعاقب للاحزاب السياسية في السلطة على اساس صراع وجهات نظرها حول مسائل معينة .

٧- لقد اسفرت محاولتنا لبناء تاريخ عالمي عن مسارين تاريخيين متوازيين .. الاول : تحكمه العلوم الطبيعية الحديثة ومنطق الرغبة .. والثاني يحكمه الصراع من اجل الاعتراف .. وقد كانت نهايتا المسارين واحدة لحسن الحظ .. الا وهي الديموقراطية الليبرالية .

٨- ان الحضارة التي ليس بها فرد يريد نيل الاعتراف بتفوقه على الآخرين .. والتي لا تؤكد بطريقة او بأخرى صحة مثل هذه الرغبة وفضلها .. لن يكون بها غير القليل من الفنون والاداب والموسيقى والحياة الفكرية .. ولن يكون بها سوى القدر الضئيل من الدينامية الاقتصادية .